مَرْثيةُ رجل الكلامِ الأخير

. محمد الهادي بو قرّة* .

ش.....ح

ع.....ب

ر

ي

لا أُقْسمُ بالشِّعْر وبالحِبْر وما اقتَرَفَ القلبُ وما كَتبتْ يُمْناي.

مَملكتي صمتي،

وقصيدتي الموعودةُ مَنْفايْ،

وهي الأوسعُ من كلِّ الدُّنيا (بئرٌ معطّلةٌ وقصرٌ مَشيد).

وأنا حَرْفي فَجُّ الدَّهشة..

أتربَّصُ فيه بظلّي وأُطاردُ مَعْنايْ،

مُندَسّاً في قطراتِ الحِبرِ وفي وجعِ النّايْ..

أَهْذي،

تُشْعِلُني حُمّايْ

ثم أعودُ إلى صمتي،

أَمْحو نصِّي،

فيُلاحقُني المعنى وتُطاردُني الكلماتُ الهشّة..

لكنِّي أُفْلِتُ منِّي ثانيةً،

وأعودُ إليّ،

أَلُفُّ حبالَ غسيلِ الحبرِ على صوتي،

تتغمّدني الرّعشة..

ويُشيِّعُني ضحكي المُرُّ إلى أفقٍ خَلْفَ نشيدي..

وأظلُّ أُطاردُ ظلّي،

وأُنَقِّلُ في صحراء المعنى

شاهدَتي وقصيدي،

وأُهدِّمُ في أرضِ الدّهشة،

مَثْوَايْ..

❖

لستُ سُليمانَ،

ولكنِّي

يأتيني هُدْهُدُ شِعْري من أقصى سَبَإٍ الكلماتِ بِجَمْرِ المعنى في المنقارِ..

ويأتي بالنَّبَإِ المخبوءِ وبالأسرارِ..

وعلى ريشِ جناحَيْهِ مباهجُ سيِّدةٍ تَحْكُمُ مملكةَ الإيقاعِ،

تُرَبِّي نملَ الفِتْنةِ بين أصابعِ كفِّي.. وفي ضَحِكي..

وبُكايْ..

❖

لستُ سُليمانَ،

ولكنِّي،

وأنا أتفقَّدُ طَيْري،

يأتيني هُدْهُدُ شِعْري

يأتيني عِفريتُ اللُّغةِ الأسمى

---

* - شاعر من تونس

يأتيني مَنْ عندَهُ عِلْمُ كتابي
يأتيني النّحوُ، ويأتيني الصَّرْفُ، بعَرْشِ المعنى
وبِبِلْقيسِ عذابي
فأقُومُ لحيني أتصدَّقُ بين الناس، على الحَمْقى الغَرْقى
في الحِبْرِ الأعمى
بنُبُوءتي الكبرى عَلِّي أرتاحْ
أتصدَّقُ بالخاتَمِ والهيكلِ والألواحْ،
وبِساطِ الريحِ وما تركتْهُ الأُرْضَةُ من قلمي / المِنْساة،
وأُعيذُ البُسطاءَ البُلْهَ.. أشقّاءَ الغُرْبَةِ.. من قلمي وذواتي،
وأعودُ إليَّ، أُباركُ رُؤاياْ،
أُعْلي عرشَ الصمتِ على أنقاضِ المعنى وحُطامِ الكلماتِ
وأُتوِّجُني في منفايْ
مَلِكًا مَخْدوع..
وأُوَارِي في المنفى موْتايْ
وأُبَعْثِرُ فيه رمادَ رُفاتي،
تعلو أصواتُ الجنِّ بألحانِ الفرحِ الممنوعِ
تعلو الريحُ بمرْثِيَتي
لكنِّي يَخْذُلُني موتي،
وأروحُ وأغدُو، لا ألقى في النصِّ،
ولا في الكلماتِ المحُوَّة،
إلاّيَ.. وإلاّيْ..

❖

لا، لستُ نبيّاً،
لكنِّي أعرفُ ما هو آتْ،
أعرِفُ أنّ الحِبْرَ، وإنْ هادَنَ، لن يُصْبِحَ «مَيَّه»
أَعرِفُ لي في الكلماتِ حدائقَ سِرِّية
وقصائدَ حارِقَةَ البهجةِ، لا يدخُلُها أحدٌ إلاّ ماتْ،
أعرِفُ أنّ الشاعرَ فيَّ
سيظلُّ يموتُ ويُبْعَثُ مراتٍ.. مرّاتْ..
مُبْتهِجًا بالأخطاء وبالخَيْباتْ
مَنْذُوراً للصَّلْبْ
مأخوذًا بامرأةِ الشُّبُهاتْ
ويُهيِّئُ مَوْعِدَها خلفَ الكلماتْ..
ويُهَيِّئُ هذا القلبْ
كي يخرُجَ من ذُلِّ الطاعاتِ إلى عزِّ الذَّنْبْ،
وجحيمِ النّزواتْ..

أعرِفُ،
.. وأنا لا أحتاجُ نُبُوّة..
أعرِفُ ما هو آتْ،
يصّاعَدُ كُلُّ بخارِ الحِبْرِ ويَعْلُو من فنجانِ القهوة
وشِفَاهٌ في المقهى تتلمَّظُ بُنَّ الخيباتْ
وقصائدُ يُشْعِلُها الوقتُ لفائفَ تبغٍ
تَرْفعُها الأيدي بين السَّبّابَةِ والوُسْطى، جَمْراتٍ.. جَمْراتْ
في شارةِ نَصْرٍ يَسَّاقَطُ منها كلُّ رمادِ الكلماتْ
ودخانُ المعنى إذ تَنْفُثُهُ الأفواهُ هنا،

وهنالك،

يَصَّاعَدُ.. غيْماتٍ.. غَيْماتْ..

أنا رجُلُ الكلامِ.. فجيعتي رُؤيَايْ ومملكةُ الخرابِ قَصيدتي ومدايْ
ودَوْمًا في القصيدةِ كنتُ وحدي والـ ـقصيدةُ وَحْدَها تبقى هنا منفَايْ
أُبارِكُ في الكلام خسائري أبدًا وأُحْرِقُ خيمةَ المعنى وأُفْقَ صدايْ
ولي حِبْرُ الغِيَاب، فمن يَرِدْ يَرِدِ السّـ ـرابَ بِقِيعَتي ويَعِشْ معي حُمَّايْ
وأُكْمِلُ في خَرابِ الأبجديّةِ مَوْتَتي الأُخرى وأَحْمِلُ في دمي موتايْ
وتَخْدعُني القصائدُ.. وَهْيَ أَحْلى إذْ تخُونُ ولا يُصَدِّقُ حِبْرَها إلاّيْ
ولي ألِفُ الأنا الأولى فكيفَ تحوَّلـ ـتْ ألفي لِيَاءِ الذُّلِّ مِنْ مولايْ
وكَيف نَصَبْتُها لي قامةً فإذا بها ياءُ الخَصِيِّ وَتَحْتَهَا ثِنْتَايْ؟
أنا رجلُ الكلام وكائنُ الحِبْرِ الـ ـأَخيرِ.. وهذه لُغَتي دمي وسُدايْ
أنا رجلُ الكلامِ مُهَدَّدٌ بالانـ ـقراضِ وهذه أَلِفُ الكلامِ عصايْ
أهُشُّ بها على الكلماتِ تَفْلى في الـ ـقصيدةِ عُشْبَ خيْباتي وعُشْبَ عمايْ
أهُشُّ بها... وأُلْقيها فتَسْعَى بي إلى حَتْفي وتلْقَفُ ما تَقُولُ رؤايْ
ولي فيها مآربُ لستُ أَقْضيها وشيءٌ لا يقالُ ولا يراهُ سِوَايْ

أنا رجُلُ الكلامِ وخارجٌ أبدًا على حُكْمِ السِّياقِ
وكائنُ الحِبْرِ الأخيرِ.. وخارجٌ أبدًا على النَّصِّ النِّظامِ
قصيدتي وطنٌ تورَّطَ في الكلامِ وخارجٌ أبدًا على معنايْ
حروفُها أهلي وهُمْ مِزَقي وبقْيَا من عِظامي. تُبَعْثِرُني القصيدةُ خارج المعنى،
أنا رجُل الكلامِ وتِلْكَ قصيدتي فَوْضايْ..
وكائنُ الحِبْرِ الأخيرِ..

تونس